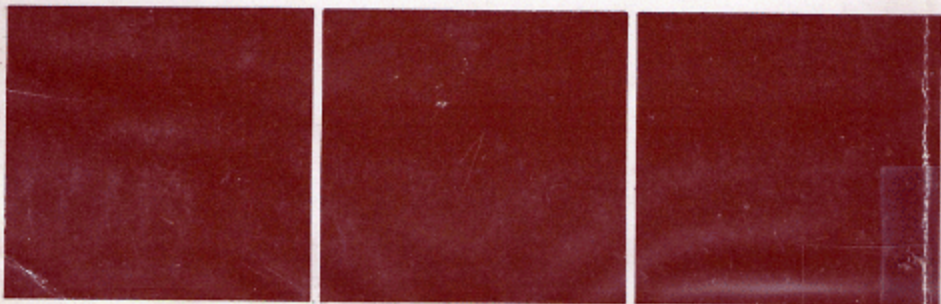


# ازحة الحضارة العربية أم ازحة البرجوازيات العربية



مهدي  
عامل

Монун



مهدي  
عامل

ازحة الحضارة العربية  
ام ازحة  
البرجهازيات العربية



١٩٨٧

جميع الحقوق محفوظة

دار الفارابي

تلفون: ٣١٧٢٠٥ / ٠١ - ص.ب: ٣١٨١ / ١١

بيروت - لبنان

الطبعة الخامسة ١٩٨٧

الـ [ ]

شهدي عطرية الشافعي

ع.م [ ]



في مطلع شهر نيسان الماضي عقدت في الكويت ندوة فكرية حول موضوع « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » شارك فيها عدد كبير من أصحاب الفكر والثقافة من مختلف البلدان العربية . ولقد نشرت مجلة الآداب اللبنانية في عددها الخامس من هذه السنة القسم الاعظم من المداخلات - أربع وعشرين مداخلة بين بحث وتعقيب - كما نشرت مجلة « المعرفة » السورية قسما آخر منها . الندوة حدث بذاته ، والموضوع المنتقى حدث آخر ، وعدد الذين فكروا الموضوع هذا حدث أيضا بضخامته ، فليس من الجائز أن ندع مثل هذا الحدث يمر دون اشارة أو تفكير ، بل ضروري أن نتأمل هذه اللوحة الفنية التي يقدمها لنا أصحاب فكر معاصر عما يسمونه الفكر العربي . لكن عملية التأمل الضرورية هذه صعبة : كيف ننظر إلى اللوحة ؟ هل نصفها بألوانها المتعددة فنعرض لكل لون منها ، أي نوجز للمقارئ ما ورد في كل بحث أو تعقيب عليه ، من أفكار ؟ لا نظن الوصف هذا نظرا سليما ، ففيه تكرار ، ولا يولد تكرار القول معرفة بالقول ، بل ربما طمس المعرفة هذه من حيث هو

يريد تبيانها او استخراجها . ثم ان يوسع القارئ العودة الى النص الاصلي حيث نشر . أما هدفنا نحن فهو تحديد زاوية النظر التي منها نقرأ تلك النصوص المتتابعة بشكل يتمكن فيه من رؤية نوع المعرفة التي تتضمنها . لذا ، لن تكون قراءتنا تكرارا لها ، بل محاولة منا لتفكير ما تقوله دون أن تفكره ، اي لكشف الفكر الذي به تحدد ما تقوله . أو بتعبير أوضح ، ستكون قراءتنا لتلك النصوص قراءة نقدية . ونقد النص هو قراءة له تستخرج منه ما هو فيه أصلا من أساس يحمله . والاساس هذا ليس مرثيا في مباشرته ، وان كان في النص حاضرا ، اذ لا يقوم ببيان هذا النص الا به . لذا وجب استخراجها - أي آراءه - بعملية من النقد ترجع النص الى ما هو منه الأثر ، أي الى بنية الفكر التي ولدته . فمن الطبيعي اذن ، بل من الضروري أن نقرأ تلك النصوص من زاوية نظر تختلف عن تلك التي منها رأى مفكرو الندوة الى موضوعهم . فما هي زاوية النظر الفكرية التي منها قارب هؤلاء واقع المجتمعات العربية في شكل معالجتهم لذلك الموضوع ؟

طرحنا في البدء سؤالا ، فاذا بنا نطرح آخر للجواب عليه . ولنقل للقارئ منذ الآن ، وقبل المضي في البحث ، ان زاوية نظرنا نحن هي الماركسية اللينينية التي لم تكن حاضرة في سوق الفكر ، على ضخامة عدد ممثليه . وهذه هي الميزة الفكرية الاساسية لتلك الندوة الجامعة مختلف تيارات الفكر



العربي المعاصر، باستثناء القيار العلمي فيه (١) ولهذا الاستثناء قضية منهجية : ففي ضوء غياب الفكر الماركسي اللينيني من مجمع هذا الفكر العربي، تظهر بوضوح الوحدة الداخلية لتلك اللوحة الفكرية المتنوعة الالوان . ويتكشّف منطق تماسكها البنيوي . لقد التقت الافكار الحاضرة في ندوة الكويت كلها - برغم ما بينها من تخالف وتفاوت - في طرف واحد من التناقض الايديولوجي الرئيسي ، هو الطرف المواجه للطرف الآخر الذي هو الفكر الماركسي اللينيني . والتناقض هذا تناقض طبقي ، بمعنى أنه تناقض ، في الحقل الايديولوجي للصراع الطبقي ، بين الطبقتين الرئيسيتين: الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية . ولكل من هاتين الطبقتين حلفاؤها في صراعها ضد الطبقة الاخرى، وبين الحلفاء الطبقيين تناقضات ثانوية تتفاوت حدتها بتفاوت احتدام الصراع بين الطبقتين الرئيسيتين . لكن التحالف الطبقي نفسه ، لا سيما بين القوى الثورية ، يفرض بالضرورة عدم المهادنة الايديولوجية ، وبالتالي ، اقامة الفارق الطبقي الحاسم بين ايديولوجية الطبقة العاملة وايديولوجية الطبقة المسيطرة أو التحالف الطبقي المسيطر . فقد تكون قوة طبقية عنصرا من التحالف الطبقي الثوري يربطها تناقض ثانوي بالطبقة العاملة في صراعها الطبقي ضد الطبقة البرجوازية المسيطرة ، وتكون ، في الوقت نفسه خاضعة للسيطرة الايديولوجية لهذه الطبقة المسيطرة ، بمعنى أنها تنظر الى واقع صراعها الطبقي ضد هذه الطبقة بالذات من

(١) الا اذا استثنينا محمود امين العالم في تعقيبه على بحث انور عبد الملك .

زاوية نظر هذه الطبقة ، أي بمنظار الايديولوجية البرجوازية  
السيطرة نفسها . في هذه الحال ، يكون الصراع الايديولوجي  
ضد هذا العنصر من التحالف الطبقي الثوري ضروريا لوجود  
هذا التحالف واستمراره ، وهو الصراع الايديولوجي الذي  
تمارسه الطبقة العاملة في هدف تحرير حلفائها الطبقيين ،  
وتحرير نفسها ايضا ، من سيطرة الايديولوجية البرجوازية  
السيطرة .



□□□□□ □□□□□  
في نقض موضوع التدوة:  
ليست الأزمات أزمنة  
□□□□□ الحضارة العربية

ان أول ما يلفت النظر في تلك اللوحة الفكرية التي ارتسمت في ندوة الكويت هو أن تحريك الفكر فيها قد تم من زاوية نظر البرجوازية المسيطرة ، وكأثر تولد هذه السيطرة الايديولوجية ، حتى في وعي هذا الفكر لذاته ، أو بالأحرى في وعي بعض منه ، كمحاولة نقد لهذه الايديولوجية المسيطرة . ولا غرابة في هذا القول ، فكل نقد لايديولوجية طبقية معينة بالضرورة باطل ، ان كان نقدا لها من موقعها الطبقي نفسه ، اي من زاوية نظرها الطبقية . وصفاء النية لا يزيد النقد الا غموضا ، أي يبطله . فكم من تعقيب على بحث أتى يدعم البحث من حيث أنه نقد له : ان كيف نقبل بأوليات البحث ، أي بأسسه النظرية ، ونرفض استنتاجاته ؟ هذا ما وقع فيه ، على سبيل المثال ، التعقيب الأول على بحث الدكتور زكي نجيب محمود . بل هذا ما وقعت فيه أبحاث الندوة جميعها بلا استثناء ، في قبولها الموضوع نفسه في شكله المطروح ، أساسا لها ومنطلقا ، أي في قبولها المنطق الذي يتضمنه شكل طرح الموضوع كمنطق ضمنى لها يحددها ويسيرها في منهجها واستنتاجاتها . من الطريف جدا الا نجد بحثا واحدا يبتدىء بوضع الموضوع نفسه



موضع التساؤل . ولهذه الطرافة دلالة تطبيقية تتضح اذا نحن  
ابتدأنا من حيث يجب الابتداء ، أي من التفكير في عبارات  
الموضوع نفسها لاستجلاء منطق الفكر الذي يطرح الموضوع ،  
أو قل لاستجلاء بنية الفكر التي هي ولدت الشكل المحدد من  
طرح الموضوع .

لقد صيغ الموضوع المطروح على التفكير بالشكل التالي:  
« أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » . ان الازمة كما  
تحدها صياغة الموضوع هي أزمة تطور . معنى هذا أن الحركة  
التاريخية تصطدم في مسارها بعقبة تحول دون استمرارها  
أو تعوق مسارها الطبيعي . وإذا دققنا النظر في عبارة  
« الأزمة » ، رأينا أن التناقض في الحركة التي هي فيه شكل  
وجوده ، هو في « الأزمة » عائق للحركة بدلا من أن يكون دافعا  
لها . فالموضوع ، إذن ، هو تحديد هذا التناقض العائق للحركة  
التاريخية . وتحديد التناقض يكون بتحديد طرفيه ، ولا بد من  
أن يكون أحد هذين الطرفين هو العائق . فما هو العائق هذا ؟  
لن نستبق البحث لنتعرف على ما كان العائق في نظر المؤتمرين ،  
لأن هدفنا الآن هو هدف منهجي بحث نريد من الوصول اليه أن  
نظهر للقارئ كيف أن شكل طرح الموضوع يحدد بالضرورة  
سياقا معيننا من التفكير ، أي طريقا معيننا للفكر ، ان قبل الفكر  
السير فيه ، وصل بالضرورة الى جواب معين يتضمنه السؤال  
نفسه . وهذا ما حدث بالفعل ، ان سار الفكر ، في ندوة  
الكويت ، في طريق السؤال الى جوابه . فلنتابع سياقه خطوة  
خطوة ، ولنتساءل عن معنى كلمة « التطور » .

التطور ، بمعناه اللفظي الدقيق ، هو حركة